الذكاء الحاد يُضعف المبادئ الأخلاقية... دراسة بريطانية تكشف المفاجأة

أظهرت دراسة أجراها علماء بريطانيون أن القدرات المعرفية العالية تضعف المبادئ الأخلاقية، والسبب في ذلك هو تطور التفكير التحليلي لدى المثقفين.

ووفقا لمجلة Intelligence، فإن النظريات التي تناولت العلاقة بين القدرات المعرفية والمبادئ الأخلاقية لا تزال محدودة، ونتائجها متضاربة.
ولتوضيح هذا الغموض، أجرى فريق من العلماء بقيادة تيموثي بيتس، أستاذ علم نفس الفروق الفردية في جامعة إدنبرة البريطانية، دراستين شككت نتائجهما في المفاهيم السائدة سابقًا.

شارك في الدراسة الأولى 463 بريطانيا (228 امرأة و235 رجلا)، بمتوسط أعمار بلغ نحو 43 عاما. أجري الاختبار على مرحلتين باستخدام منصة استطلاع إلكترونية؛ حيث ملأ المشاركون في المرحلة الأولى استبيانا حول المبادئ الأخلاقية، ثم خضعوا بعد أسبوعين لاختبار للقدرات المعرفية، وقد أُخفيت هوية جميع المشاركين باستخدام رموز مجهولة، حفاظا على خصوصيتهم.

وكانت النتيجة مفاجئة للباحثين: لم تكن العلاقة بين القدرات المعرفية والمواقف الأخلاقية صفرية أو إيجابية كما قد يُتوقّع، بل كانت سلبية، وبلغ متوسطها -0.16، أي أن الأفراد ذوي معدلات الذكاء الأعلى كانوا أقل تمسّكا بالمبادئ الأخلاقية.

ولضمان دقة النتائج، أجرى الباحثون دراسة ثانية شملت 857 مقيما في بريطانيا، بمتوسط أعمار بلغ 40 عاما، مستخدمين نفس الأسلوب في التقييم.

وأظهرت النتائج مرة أخرى أن القدرات المعرفية العالية ترتبط باستجابات أقل حدسية تجاه المواقف الأخلاقية، مما يؤدي إلى دعم أضعف للمبادئ الأخلاقية كافة.

ويقول البروفيسور تيموثي بيتس: "تُعد هذه النتائج أكثر إقناعا في الوقت الراهن، نظرا لاستخدامنا عينة كبيرة، ومقاييس مثالية لتقييم المبادئ الأخلاقية عبر استبيان محسّن، بالإضافة إلى نموذج متعدد الأبعاد للقدرات المعرفية، وتتعارض نتائجنا مع النماذج التي تفترض أن القدرات المعرفية تعزّز التمسك بالقيم الأخلاقية".

وأضاف أن هذه النتائج لا تعني بالضرورة أن الأشخاص الأذكياء غير أخلاقيين، بل إن القيم الأخلاقية غالبا ما تُبنى على العاطفة والحدس، في حين يميل ذوو الذكاء المرتفع إلى تحليل مشاعرهم والتشكيك بها.